البُعدُ التداولي في الخطاب النقدي عندَ المُبرّد كتابُ (الكاملُ في اللّغةِ والأدب) إنموذجاً

الكلمة مفتاح [التداولية ـ الخطاب ـ النقدي]

أ.م. د. سامي شهاب أحمد
كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كركوك
sami-samiahmd@ yahoo.com
أ. م. د. مريم محمد جاسم
كلية التربية للعلوم الانسانية/جامعة تكريت
Meriam – mohmed @yahoo.com

المُلخَّصُ

تُمثلُ التداوليَّةُ إحدى المُرتكزات الرئيسة التي تعملُ على رصدِ المُتغيِّراتِ في النَّصِ الابداعي ؛ عبرَ شبكةٍ منْ الآليَّاتِ والمفاهيمِ المُختلفة ؛ بُغية الوصُولِ إلى الدلالاتِ المُخاتِلةِ وراء القصديَّة ؛ كونها تعتني بعلاقةِ العلاماتِ بمُفسريها ؛ وبحسب هذه الأهميَّة يُحاولُ البحثُ اكتناه البُعد التداولي في خِطابِ المُبرِّد النقدي المُتأسسِ في كتاب (الكاملُ في اللُّغةِ والأدب) ، وذلك من خِلال نظريَّة الأفعالِ الكلاميَّة التي تهتمُّ بالأفعالِ الإنجازيَّةِ المُؤثرةِ في المُخاطَب ، ونظريَّة الاستلزامِ الحِواري التي تعتني بالمُتكلِّمِ ودوره في استمالةِ المُخاطَب لمعرفةِ قصديَّته من المعاني والدلالات .

المُقدِّمةُ

يُمثل العِالمُ اللغوي (أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر) الملقّب بالمُبرِّد أحد أقطاب الفكر العربي قديمًا وحديثًا ؛ لما قدَّم من نتاجاتٍ مُغنيةٍ ومفيدةٍ عملت على إزاحة المفاهيم في حاضنتها القديمة وتشكيلها من جديد على وفقِ رؤى معرفيةٍ خاصة ؛ نتيجة القدر المعرِفي والمعلوماتي والتّنور الفكري الذي كان يتمتع به . وقد مكنّه التوسّع المعرفي من الخوضِ في علومِ اللغةِ العربيةِ وحقّق فيها تقدماً مشهودًا ؛ وأصبح بذلك واحدًا من الموسوعيين البارزين . لذا جاءتْ مؤلفاته كثيرة ومتعددة وحمَلت بين طياتها كُنوزًا من الدُّررِ الثقافيةِ والفكريةِ وهلمَّ جَرًا . وعلى الرغم من أهميتها فإنّ كتابَ (الكاملُ في اللُّغةِ والأدب) يُعد الأكثر رواجًا وأهميةً ليس على مستوى نِتاجاتهِ ؛ بل على مستوى نِتاجاتِ علومِ اللُّغةِ العربيةِ ؛ لما فيه من تنوعٍ وثقافةٍ شاملة . ولقِيمةِ ذلك ارتأينا الوقوفَ على الخطاب النقدي المتبلورِ في هذا الكتاب لمعرفةِ توجهاتهِ واشكالهِ ، مُستعينين بالألسُنيةِ التداوليةِ التي تعتني

بعلاقاتِ العلاماتِ بمُفسريها لتكون مِفتاحًا لسبر أغوارِ هذا الخطاب . ولسعةِ قاعِدتها وآلياتها اتجهنا صوبَ آليتينِ من جهازها المفاهيمي هما : نظريةُ الأفعال الكلامية ؛ والاستلزامُ الحواري . وفي ضوء ذلك تضمّن البحثُ تمهيدًا ومحورين وكالآتي : التمهيدُ : وفيه تحدثنا عن التداوليةِ ومهامِها ؛ فضلاً عن بيانِ الدافعِ من دراسةِ خطاب المبرِّد النقدي . المِحورُ الأوَّل : نظريةُ الأفعال الكلامية (خِطابُ التأثير) : وهي من أهم محاورِ التداوليةِ كونها تقومُ على التأثيريةِ في التّواصلِ المعرِفي ؛ لأنّ الأفعالَ الكلاميةَ من وجهةِ نظرِ التداوليةِ هي الأفعالُ الانجازية المتحقّقة التي تُحدث الأثرَ في المتلقي . وعلى وفقِ هذه الأفعال يتبيّن مدى تأثير خطاب المُبرِّد النقدي في الآخرين من حيثُ القصديّة المبيّتةِ وأهميتها في تغيير المفاهيم والقِيم . وقد اتضحَ ذلك من خلالِ الآراءِ التي قالها بحقِّ الأشعارِ والأمثالِ والحِكَم وما نحو ذلك .

المِحورُ الثاني : الاستلزامُ الحواري (خِطابُ القصديَّة) : إنَّ هذا الاستلزام يُولي قصديّة المتكلِّمِ أو ما يُسمى بالدِّلالةِ غير الطبيعيةِ اهتمامًا كبيرًا ؛ فضلاً عن قدرة المُخاطَب في معرفةِ نوايا المتكلِّم . وقد تبنَّينا نظريةَ (غرايس) في (مبدأ التعاونِ) بحسب اتجاهاتها الأربعة وهي : مبدأُ الكمِّ ، ومبدأُ الكيفِ ، ومبدأُ المناسبةِ ، ومبدأُ الطريقةِ . وبذلك سيكونُ خِطابُ المُبرِّدِ النقدي تحت سُلطةِ الكشفِ عن المخبوء ؛ لأنَّ القصديّة ستنفضحُ نواياها عبر المبادىء الأربعةِ ، وسيتبينُ مدى التباعُد والتقارب بين خِطابهِ وخِطاب الآخرين ؛ بل تعالي خطابه أو عكس ذلك قياسًا على الخطاباتِ الأخرى الأدبيّة والنقديّة . وخِتاماً نسألهُ تعالى السَّدادَ والتَّوفيقَ خِدمةً للغتنا العربيةِ ولعلمائنا الأجلاَّء .

التَّمْهِيدُ

تُعد التداوليةُ إحدى النظريات البارزة في سلّم اللّسانيات ؛ لكونها مثلت المسارَ المكمّل لمعطياتِ عِلم الأصوات والتراكيب والدلالة ، إذ انّها انزاحت عن التعامل مع اللّغة على أساس التقييد والقسرية في انتقال الدلالات ؛ وانحسار مفاهيمها بحسب معطيات الاتجاه الصوتي ؛ أو المعجمي ، أو التركيبي ؛ وباتت تعمل في ساحة المُنجز اللغوي عبر الاستعانةِ بالمقام ؛ فهي ((العلمُ الذي يدرسَ تأثيرَ المقامِ في معنى الأقوالِ))[١]، أي تشكيل أرضٍ صلدةٍ لتحقيق التواشج البنّاء بين أفعال القول وسياقات المواقف التي نشأت منها تلك الأفعال ؛ لغرض الوصول إلى حجم التواصل الإنساني وامكاناته في تغيير بعض المفاهيم وتوجيهها .

وعليه فإنَّ التداوليةَ تعملُ على ((إيجاد القوانين الكُلِّية للاستعمال اللغوي والتعرّف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي ، وتصير التداولية من ثم جديرة بأن تُسمّى علم الاستعمال اللغوي))[٢].

تتلخصُ مهام التداولية في أنّها تُولي المثلث الابداعي (المخاطِب ، والمخاطَب ، والخِطاب) أهميةً كبيرةً ؛ لانّها تؤمن بدراسة القصديّة المبثوثة من المخاطِب إلى المخاطَب في ظلِّ سياقٍ تخاطبي تواصلي يفرد معاني متغايرة عن معاني البُعد الحرفي الأول للملفوظات . وهذا يعني تأرجح كفّة التواصلِ غير المباشر على التواصلِ المباشر . كما أنّها تعمل على إبراز وظيفة اللغة عبر دراسة الاستعمال اللغوي في ظلِّ المقامات ؛ للوصول إلى غاياتٍ إجتماعيةٍ وثقافيةٍ متجذّرةٍ في تلك المقامات . وفي الاجمال تتلخصُ مهامها في((دراسة استعمال اللغة التي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها ، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقاتِ المقاميةِ المختلفةِ . أي باعتبارها كلامًا محددًا صادرًا من متكلِّمٍ محدد وموجهًا الى مُخاطَب محدد بلفظٍ محددٍ في مقامٍ تواصلي محددٍ لتحقيق غرضٍ تواصلي محدد))[٣].

ولأهميةِ التداوليةِ بسبب هذه المهام ارتأينا تسليطَ الضوء على خطابِ المُبرِّد النقديِّ لبيان البُعد التداولي فيه ؛ عبر الاستعانة بنظريةِ الأفعالِ الكلامية ، ونظريةِ الاستلزام الحواري . ولكن قبلَ الخوض في هذين المجالين ينبغي علينا بيان الدافع من دراسة خطابِ المُبرِّد النقدي في ضوءِ التداوليةِ وهو كالآتي :

١ – إعتبارُ النصوص المشكّلةِ للخطاب على مدارِ الكتابِ كُلِّه ملفوظات خطابية ، ولاسيما في جانب الخطاب الأدبي . وهي في الأساس موجَّهةُ إلى المتلقين . وهذا محصورُ في سيرورةٍ تواصليةٍ مقامها سياق الخطاب التواصلي .

٢ – ينبغي معرفة أنَّ الخطاب ليس مباشرًا ؛ لكون التلفّظ في النصوص أي صاحب الخطاب الأدبي وغيره ليس قريبًا من المتلقي ؛ ومن ثمّة لا يُوجد رابطٌ بينهما . وهذا ما يتطلب ترتيب إجراءاتٍ خاصةٍ لتحقيق المطلوب من الخطاب . وعليه يمكن إحلال سياق التأليف مكان المتلفّظ ؛ وسياق القارىء مكان التلفّظ .

٣ – تشكَّل خطابُ المُبرِّد النقدي على وفقِ المنظومةِ الفكريةِ التي ينتمي إليها ؛ لذا فإنَّ سياق التواصل القابع في مقامِ تأليف الكتاب كان يسير ضِمن خطٍ واحدٍ تعارفت عليه المؤسسةُ الأدبيةُ والنقديةُ في تلك الحقبة ولاسيما في القرن الثالث الهجري ، إذ إنَّ أغلب المؤلفات أخذت طابعَ الاختياراتِ وكيفية تحليلها وتفسيرها لتقريب مضامينها من ذهنية

المتلقين بحسب ظروفها الاجتماعية والثقافية ؛ وبذلك تنوّع خطابه بين الاتجاهات اللغوية والنحوية من جهة ؛ والاتجاهات الجمالية من جهة أخرى .

وعلى هامشِ ما تقدَّم فإنَّ الخطابَ النقدي المبثوث في كتاب (الكاملُ في اللغةِ والأدب للمُبرِّد) سيتم معالجته في ضوء البُعد التداولي المرتكز في أساسهِ على القصديّةِ الحتميّةِ المتخفّيةِ خلف التواصل غير المباشر . أي الانزياح عن المعاني الحرفية في الملفوظاتِ والميل نحو المعاني المحورية .عندها ستتضح لنا معالم خطابه .

المِحورُ الأوَّل

نظريةُ الأفعال الكلامية (خِطابُ التأثير)

تمثّلُ نظريةُ الأفعال الكلامية إحدى الدعائم البارزة في اللّسانيات التداولية ؛ لما لها من حضورٍ فاعلٍ في تغيير بعض المفاهيم والمعاني في ضوء المحتوى السياقي الذي يعطي للملفوظاتِ دلالاتٍ أُخرى تختلف عن مرجعيتها الأصيلة ؛ فمرجعيات الملفوظات تبتعدُ عن أصلها وتندمج في فضاءٍ سياقي جديدٍ مهمته إحداث الأثر التواصلي مع الآخرين ؛ وهذا يتطلب إفرازات دلالية جديدة للملفوظات ضمن جسد السياق النصي التركيبي . أي أنَّ السياق هو الفيصل الحاسم في تغيير دلالات الملفوظات في النصوص ، وهذا يعني أنَّ هذه النظرية تحاولُ بحثَ العلاقات القائمة بين اللغةِ والاتصال ؛ وتندمج فيها الأفعال الاخبارية بالأفعال الأدائية محدثةً خرقاً في النظام التواصلي القديم ؛ ومولّدةً نظامًا مفاهيميًا قوامه انجاز وضعيات اتصالية جديدة تُغذّي المتلقي وتجعله أمام تأويلٍ محتّمٍ يفرز في النهاية دلالاتٍ إنجازية نتيجة قوة الفعل الإنجازي ؛ وعليه ((فالأفعال الكلامية مهمة في جميع الحقول ولاسيما الحقل الدلالي التداولي ؛ لما يقدّمه من توصيفٍ عامٍ للفعل في قوته الانجازية وقدرته التأثيرية ، وبذلك يتشكّل العُرف التواصلي الذي على أساسه تأسست التداولية ، ولأهمية الأفعال الكلامية في المنجز الوظيفي أصبحت في ميدان التداولية نظريةً كاملةً لها أبعادها وجذورها))[٤] .

تعود جذور هذه النظرية إلى (بوهلر) فهو أوّل من اصطلح (الأفعال الكلامية) ؛ وتبعه بعد ذلك منظرون آخرون لهم حظوةٌ ومكانةٌ في عالم التداولية ؛ وأصحاب فضلٍ في تطوير هذه النظرية نذكر منهم (فريجة ، وفتغنشتاين) ؛ إلاّ أنَّ هذه النظرية تخطّت حدود مرحلة التأسيس وصولاً إلى مرحلة النضج والاكتمال على يد (أوستن) وتلميذه (سيرل) .

تكمن أهمية آراء (أوستن) في انّه عادى المفاهيم السائدة بشأن وظيفة اللغة التي تتبلور مهمتها في وصف العالم المحيط وصفًا خاصًا يحتملُ الصدق والكذب ؛ ورأى أنَّ الحقيقة الجوهرية تكمن في وجود عباراتٍ وسياقاتٍ كثيرة ؛ هي في أصلها وصفيةٌ وتعيينيةٌ لكنها لا تحتمل الصدق والكذب ؛ لهذا ميّز بين نوعين من الأقوال المنجزةِ للأفعال هما :

١ – الأقوال الوصفية (الاخبارية) : وهي الأقوال التي تصف وقائع معينة تكون قابلةً للصدق والكذب .

٢ – الأقوال الانجازية (الأدائية) : وهي الأقوال التي لا تخضع لمعايير الصدق والكذب ؛ ولكنّها في الوقت نفسه تؤدي فعلاً إنجازيًا اجتماعيًا بحسب الشروط القياسية الخاصة.(٥).

وفي حدود الأقول الادائية قال أوستن : ((إنّ بعض الأقوال المتشكِّلة حول جملٍ من الأفعال المستعملة لا تنسحب عليها هذه المقاييس)) .(٦).

وفي ضوءِ التقاطبِ الأدائي والفكري بين الأقوال الوصفيةِ والأقوال الإنجازيةِ ؛ وعدم القدرة في بعض المراتِ على فرزنةِ خطابهما ؛ فضلاً عن عدم صلاحية أغلب الشروط لإحداث الفصل الحقيقي بينهما سعى أوستن الى تقييد الفعل الكلامي بإداء أدوارٍ خاصةٍ لها فاعليتها في السياقاتِ النصية ؛ وذلك من خلال تقسيم الفعل الكلامي الواحد على ثلاثةِ أفعالٍ هي :

١ – الفعلُ اللفظي : وهو يتألفُ من أصواتٍ لغويةٍ تنتظم في تراكيب خاصة تؤدي معنىً محددًا ضِمن السياق .

٢ – الفعلُ الانجازي : وهو أهم الأفعال الثلاثةِ ؛ لكونه يأتي بمعنى اضافي جديدٍ يكون داعمًا للمعنى المحددِ الأصيل .

٣ – الفعلُ التأثيري : وهو ما يُحدثه الفعل الانجازي من أثرٍ في السامع ؛ ولاسيما إذا ما كان فعلاً ناجحًا .(٧) .

وقد أشار عمر بلخير إلى أنّ التداوليةَ تشترط أنْ يكون الفعلُ الانجازي (الغرضي) مبنياً على القصديةِ ؛ أي أنّ المتكلّم حينما يلفظ فعلاً إنجازيًا يحققُ معنى قصديًا قابلاً للتأثيرِ في الوقتِ نفسه ؛ شرطَ أنْ يكون ضِمن سياقٍ معرفيٍ تواصلي (٨).

وعليه فإنّ وجودَ الفعلَ اللفظي ضِمن السياقِ أمرُ مسلّم به ؛ ووجود الفعل التأثيري ليس بالضرورةِ على الدوام لوجود أفعالٍ كلامية انجازية لا قيمةَ لها من حيث التأثير . لذا يبقى

الأهمُ في السياق الفعل الانجازي لكونه يُحدِّث الدلالات باستمرارٍ عبر القصديّةِ الموجّهةِ من المتكلِّم الى المتلقي .

ولم يكن (سيرل) بعيدًا عن هذا الميدان بل أكمل آراء أستاذه أوستن ، وأهم ما جاء به في هذا المجال تصنيفهِ للأفعالِ الكلاميةِ على خمسةِ أصنافٍ هي :

١ – الإخباريات (التقريريات) : يتحقق الغرضُ الانجازي فيها عبر وصف المتكلّم لواقعةٍ معينةٍ تحتملُ الصدقَ والكذبَ . وأفعالها ، مثل : أعتقدُ ، استنتجُ ، أفترضُ ، الخ .

٢ – التوجيهات : يتحقق الغرضُ الانجازي فيها عبر محاولةِ الباثِ لدفعِ السامع نحو فعلِ شيءٍ معين . وأفعالها مثل : يسألُ ، يتحدى ، يسمحُ ، الخ .

٣ – التعهدات (الإلتزاميات) : يتحقق الغرضُ الانجازي فيها عبر التزام المتكلّم بفعلِ شيءٍ في المستقبل . وأفعالها مثل : أتعهدُ ، أضمنُ ، أقسمُ ، الخ .

٤ – التعبيريات : يتحقق الغرضُ الانجازي فيها عبر التعبير عن الموقفِ النفسي، شرطَ تحقق صدق النيّةِ في الموقف . وأفعالها مثل : يعتذرُ ، يشكرُ ، يرثي ، الخ .

٥ – الاعلانيات (الحكميات) : وهي أفعالُ يتوقف نجاحها على مطابقةِ محتواها للعالم الخارجي ؛ أي يتغير العالمُ بعد النطقِ بها . وأفعالها مثل : استقيلُ ، أسافرُ ، الخ .[٩].

وعلى هامشِ ما تقدّم فإنّ اكتناه البُعدَ التداولي في خطاب المُبرِّد النقديِّ يستلزمُ إجراء حفرياتٍ معرفيةٍ متعددةٍ لتعدد النصوص المتناثرة على أديم خطابه ؛ ولاسيما أنها نصوصُ تنتمي إلى تياراتٍ فكريةٍ وفلسفيةٍ متنوعة ؛ منها الأدبيةِ والدينيةِ والاجتماعيةِ والفلسفيةِ وهلمَّ جرًا ؛ وهذا يعني تشظي المكونات التخاطبية ـ لتشظي الانتماء الاجناسي ـ وأهمية دورها في رسم الأبعادِ التداوليةِ اجتماعيًا ، نتيجة لما يُقدّمه الفعل اللفظي من دورٍ إنجازي مهمته التأثير في المتلقي لرفدهِ بالمعلوماتِ وتغيير مفاهيمهِ الخاصة وما نحو ذلك ؛ وعليه ((فالخطاب بمثل هذا التحديد قد يُمثل نصًا أو مجموعة النصوص من جهة علاقتها مع ظروف إنتاجها الاجتماعية والتاريخية ؛ وهو بالضرورة يتضمن جنسًا خطابيًا معينًا يتم إنتاج النص وفقه أيضًا))[١٠] .

إنَّ ما يهمنا هنا هو رصد قوة الفعل الانجازي في تغيير المساراتِ الفكريّةِ للمتلقّين ؛ وذلك من خلالِ اصطيادِ النصوص الخاصة المكوّنة لخطابِ المُبرِّد النقديِّ ؛ وكذلك النصوص المتداخلةِ في منظومتهِ الخطابيةِ التي تشكِّل في النهاية معالمَ جديدة ترفد خطاب المُبرِّد العام ؛ وفي ضوئهما يتبين لنا البُعد التداولي في خطابه . لذلك سيكون تصنيف (

سيرل) للأفعال الكلاميةِ بالإستنادِ إلى الفعل الانجازي عند (أوستن) مفتاحًا لبلوغ غايات خطابِ المُبرِّد النقديِّ . وعليه لقد وجدنا من خلالِ تفحصنا للنظام التخاطبي في خطابِ المُبرِّد النقديِّ أنَّ الاخباريات ؛ والتعبيريات ، والتعهدات ، أصنافٌ كلاميةٌ موجودةٌ بكثرة في خطابه وبنسبٍ متفاوتة ؛ لذا تستحق الوقوف والدرس ؛ في حين كانت حظوةُ التوجيهات ضئيلة ، أمّا الاعلانيات فلا مكانَ لها في خطابه .

يُمكن قراءةُ الأفعال الكلامية في ضوءِ حاضنتها الاخبارية من جانبين : الأول عن طريق النصوص الخارجية المتداخلة مع نصوصه ؛ وهي ما يُمكن تسميتها بالمرويات . والجانب الآخر ما يخص نصوصه الساندةِ للنصوص الأخرى . فعلى صعيد الجانب الأول وجدنا أنَّ المرويات أخذت مساحةً كبيرةً في خطابهِ ؛ والسبب يعود إلى أنَّ كتابةَ (الكامل) في أصله قائمُ على الاختياراتِ المتعددةِ الأدبيةِ وغيرها والمنتميةِ إلى أجناسٍ خطابيةٍ مختلفة ؛ وهي في مجملها تشكِّلُ البنيةَ الخارجيةَ لخطابِ المُبرِّد النقدي ؛ لانَّ تبنيهِ هذا النص أو ذاك دلالةُ على قربه من منظومتهِ المعرفيةِ الفكريةِ ؛ وبذلك فهي ساندةٌ للخطابِ لا محالة . ومن أمثلةِ المرويات التي أدّت بُعدًا تداوليًا إخباريًا عرضُ المُبرِّد لمواعظِ الحسنِ البصري ومنها ((وحدّثتُ أنّ راهبين دخلا البصرة من ناحية الشام ، فنظرا إلى الحسن البصري ، فقال أحدهما لصاحبه : ملْ بنا الى هذا الذي كأنّ سَمتَه سَمتُ المسيح ، فعدلا إليه ، فألفياه مُفترشاً بذقنه ظاهر كفّه ، وهو يقول : يا عجبًا لقومٍ قد أُمروا بالزّاد ، وأُوذنوا بالرّحيل ، وأقام أوّلهم على آخرهم ، فليت شِعري ، ما الذي ينتظرون ؟)).[١١]. تتمثلُ في هذا النص السردي سلسلةُ متواليةُ من الأفعالِ الكلاميَّةِ لتأديةِ واجبها المُتمثلِ بتغييرِ المفاهيمِ عبرَ قوّةِ الغرضِ الانجازي ؛ وهي سلسلةُ تحوي الاخباريات التقريرية لحالة ما . وتأرجحت الأفعالُ الكلامية بين الأقوالِ الانجازيةِ وبين الأقوالِ الوصفيةِ بأفعالها الطلبية. وكِلاهما رسمَ البُعد التداولي في النص . ابتدأ النصُ بالأقوالِ الانجازيّةِ الادائيّةِ للأخبار عن لقاءِ الحسن البصري بالراهبيْن ؛ وفي حديث الراهبين فيما بينهما عن شبه البصري بالمسيح (عليه السلام) إشارةٌ واضحةٌ على وجودِ بُعدٍ دلالي قوامه أنَّ البصريَّ رجلٌ حكيمٌ وعالمٌ متبصِّرٌ على الرغم من عدم حديثهما معه . وباتجاهٍ مُعاكسٍ جاءتْ على لسانِ البصريِّ الأقوالُ الوصفيةُ بآلياتها الطلبيةِ لشحنِ الطاقةِ الانجازيّة وتفعيل التقرير الاخباري عن فحوى اللقاءِ . وهذا يعني تداخل الانشاءِ بالطلبِ لانتاج القوة الانجازية عبر الأفعال . ويتبين ذلك عبر النداء ، والتمني ، والاستفهام . فكلّهم جاؤوا ليس على صيغةِ المطلوبِ الحقيقي بل على

صيغةِ الاخبارِ . فليس النداءُ هنا لطلبِ الحاجةِ بل لعرض التعجّب من قومِ الراهبين ليكون ذلك متلائمًا مع التقرير الادائي ؛ كما أنَّ التمني ناقصُ الأهليّة للطلب ؛ فهو هنا يُمثل التحسُّر والتوجع والحيرة من أمرِ هؤلاء ؛ ولا ينتظر من الاستفهام هنا الاجابة لأنه ليس حقيقيًا بل إنجازيًا مهمتهُ تقرير حالة . وعلى هذا فإنَّ الجُملَ الطلبيةَ مثلتْ سيرورةَ التواصل الخطابيّ ؛ لانَّها ابتعدتْ عن قاعدتها لتنفيذ المراد منها وراحتْ تروّج لإداءِ أفعالٍ اجتماعيةٍ تختلف عن أداءِ الأفعال اللفظيةِ ومعانيها الثابتةِ . وهذا يعني أنَّ سياقَ المقام التواصلي حصّن نفسه ـ بتداخل عمل الأفعال اللفظية ـ وحوّل المفاهيم الثابتةِ إلى متغيرة بحسب ما يقتضيه هو . وعلى وفقِ هذا السياق وما حواهُ من تداخلِ الانشاءِ بالطلب يُمكن أنَّ نرصد غرضًا إنجازيًا واحداً في المجمل ألا وهو أخذُ الحيطةِ والحذر. إذ يجب الحذر من الغرباءِ حتى وإنْ كانوا علماء . وهذا ما يُولِّدُ في النهاية قوةً جديدةً هي قوةُ الفعل التأثيري ، فالفعل الانجازي كان كبيرًا فولَّد فعلاً تأثيريًا قوامه النصيحة . فهو يُريد إقناعَ المتلقي بوجوب توخِّي الحذر ومعاملةِ الناس على قدرِ عقولهم وميولهم ومعرفةِ الغرباء .

ومن المرويات التي فيها قصديّة الغرض الانجازي قال المُبرِّدُ : ((وقال معاوية لعَرابة بن أوس بن قيظيّ الأنصاريّ : بمَ سدت قومك ؟ فقال : لست بسيّدهم ولكنّي رجل منهم . فعزم عليه فقال : أعطيتُ في نائبتهم ، وحَلُمتُ عن سفيههم ، وشددت على يدي حليمهم ، فمن فعل منهم مثل فعلي فهو مثلي ، ومن قصّر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوزه فهو أفضل مني .))[١٢]. إنَّ سلسلةَ الأفعال الكلاميّة التي امتزجت فيها الأفعالُ الوصفية بالأدائية تمثل القصديّة الحتمية من التلفّظ وتشكيل بؤرة الخطاب ، فالمقامُ التواصليّ أزاح ركائز الثبات في تلك الأفعال وأصبحت في ظله مؤديّةً لقصديّةٍ إنجازيةٍ ذات تأثيرٍ مباشرٍ في المتلقي . ولتلمس ذلك نجد أنَّ الاستفهام (بمَ سدت قومك) كان استفهامًا حقيقيًا لا يخدمُ السياقَ التواصليّ في تحقيق اخباریاته التقريرية ؛ إلاّ أنه في ظلِ السياقِ تحوّل الى فعلٍ إنجازي مؤثرٍ انبت عليه المروية كلّها ؛ فلولا السؤال لما جاءت الإجابة التقريرية . وتمثل ذلك بالإجابة عن السؤال باسلوبٍ إلتوائي مُبتعدٍ عن حقيقةِ الإجابةِ عن السؤال . فهو لم يقل تسيّدتهم باخلاقي وصبري وما نحو ذلك مثلاً . ولم يقل تحديدًا لم اتسيّدهم ، بل قال مموها : (لست بسيّدهم ولكنّي رجل منهم) ؛ إذ جعل الإجابةَ تحتملُ التأويلَ والقصديّة ؛ فهو من عامةِ الرجال . ولزيادة اللُّحمة التقريرية في المرويةِ راح يُدلل على قيمته وفعله ؛ فهو معهم على النوائب ؛ ويعملُ مع حليمهم ويبتعدُ عن سفيههم . وبحسب تلك المواصفات عليك

الاختيار ؛ إمّا أنْ تكون أعلى أو أدنى أو بمستواه . أي جعلَ قصديّةَ التلفّظِ واضحةً ضمن السياقِ لتعزيز قيمةِ الاخبار . وهذا يعني أنَّ الاستفهام كان مفتتحًا للبت بالتقرير والاخبار عن حالِ هذا الحكيم وسط قومهِ . وعلى وفقِ التزاوج بين الأفعالِ الكلاميّة بهيئتها الوصفيّة والادائيّة تشكلَ الغرضُ الانجازي الأوحد في السياق كلّه ألا وهو التزامُ الحكمةِ والكياسةِ . وبوساطةِ قوةِ الفعلِ الانجازي الذي هو ((الفعلُ المؤسسُ من قبل متكلّمٍ يتمتعُ بصلاحياتٍ معيّنة))[١٣] ؛ تشكلَ الفعلُ التأثيري عبر الاقناع . فالفعل التأثيري يدفعُ باتجاه إقناعِ المتلقي بالتزامِ النَّصيحةِ وتدبّر أمر الحكمةِ ليُصبح سيدَ القومِ بافعالهِ لا بالسِّيادةِ الفعليّةِ الممثلةِ بالتتويجِ .

وباتجاهِ النصوصِ السَّاندةِ التي تُشكِّل البنيةَ الداخليةَ لخطابِ المُبرِّد النقدي يتضح لنا أنَّها نصوصُ تأرجحتْ بين الايجازِ والاطنابِ والمساواةِ ؛ وذلك بحسب التّوليد والانشاء الذي يفرزه خطابه ؛ فبعضُ التحليلاتِ للنصوصِ المستخدمةِ والرفد المعلوماتي المستفيض لها جعلها تتأرجحُ بحسبِ أهميتها وقيمتها بين السطرِ والأسطرِ المتعددةِ ؛ إلاّ أنَّها تؤدي غرضًا إنجازيًا معينًا ـ يحتملُ الصدق والكذب ـ ضمنَ سياقٍ تواصليٍّ واحد . ومساحة هذه النُّصوص ربما تتساوى مع النُّصوصِ المتداخلة ؛ ليضمنَ الخطابُ غرضه القصديّ الانجازي . وعليه يُمكن عرضُ مثالٍ واحدٍ لمحدوديّةِ حجم البحث . من ذلك أنَّ المُبرِّد كان يشرحُ أحدَ أبيات جرير بحقِّ عمر بن عبد العزيز فعرّج إلى أقاويل ذُكر فيها المثلُ المشهورُ (ما يوم حليمة بسرٍّ) فقال خطابًا واقعًا ضمنَ الاخباريات مُعرِّجًا إلى هذا المثل :

((وأظنّ قول القائل من العرب ((لأُرينّك الكواكب ظهرًا)) إنّما أُخذ من يومِ حليمة))[١٤]. إنّ هذا النص على شدةِ اقتضابه إخباريٌّ بامتياز ؛ وواقعٌ بين القبولِ والرفضِ ؛ فالمُبرِّد قرّب القول (لأُرينّك الكواكب ظهرًا) للمتلقي وأرشده بانه مأخوذٌ من يومِ حليمة الذي سارَ مثلاً بين الناس . وهذا إخبارُ بحال المثل وما ترتب عليه من أشعارٍ وأقوال . وتأتي احتماليةُ التصديقِ والتكذيبِ عبر الاستهلالِ الفعليِّ الواردِ في النص والذي تمثل بالفعلِ اللَّفظي (أظنّ) . وهذا يعني انفتاح القصديّة إلى أبعدِ مدياتها ؛ فهو على الرغمِ من اعترافهِ بانّه لا يعلم من قالَ هذا القول إلاّ أنّه اعتراف مموَّه عبر قصديّةِ الفعلِ الانجازي للفعلِ اللَّفظي (أظنّ) ؛ إذ تحوَّلت الدلالةُ – بحسبِ الفعلِ الانجازي وما يؤديه من غرضٍ – من التضييقِ إلى الانفتاحِ والشّموليةِ . والسّببُ ربما يعودُ إلى كثرةِ الأقوالِ بشأن هذا المثل ؛ ولكي لا يحصل الالتباس استعمل الفعل (أظنّ) ليجعلَ إحتماليّةِ الصدق والكذب مفتوحةً

وعن طريقها تأتي النتائجُ . ولم يترتب على قوّةِ الفعلِ الانجازيِّ أي قوّةٍ لاحضارِ الفعل التأثيري ؛ لانَّ السياقَ غايتهُ الإخبار العرضي وليس الإخبار المنجز المدروس .

وفي ضوءِ ما عُرض تبلور مفهومان في سياقِ خطابِ الاخباريات هما :

١ – إنّ تلاقحَ المرويَّاتِ (النصوص الخارجية) مع نصوصِ المُبرِّد السّاندةِ خلق جوًا من القصديّة المتشظيّة ، وتحقق ذلك عبر التسلّطِ الفوقيِّ الذي أدّاهُ الفعلُ الإنجازيُّ في محورِ النُّصوصِ المذكورةِ على الفعلين الآخرين(اللَّفظي والتأثيري) .

٢ – مثّل الفعلُ الانجازيُّ بقصديتهِ المختلفةِ البؤرةَ المتعالية في سياقِ الخطاب ؛ لتبعيّة الفعل اللَّفظي والفعل التأثيري لها ، فهي بؤرةُ تومضُ بالإشاراتِ المختلفةِ للأفعالِ مع غلبةٍ واضحةٍ لإشاراتِ الفعل الانجازي .

وتمثلُ التعبيرياتُ البُعدَ التداوليَّ المؤثِّر في سُلَّمِ الأفعالِ الكلاميّةِ عند (سيرل) ، وفيها يكونُ الغرضُ الانجازيُّ هو التعبير عن كوامنِ النَّفسِ الداخليّةِ وما يدورُ في الواقعِ لاحداثِ الأثر في المتلقي ، ولا يُشترطُ فيها أنْ يكونَ العَالمُ المحيطُ متوافقًا أو متطابقًا مع الكلمات . وهذا يعني أنَّ الخطابَ موجَّهُ ؛ أي ((لا يصف ولا يمثل الواقع فقط ، وانّما قد يؤثّر في متلقيهِ أو يغيّر من وضعيتهِ أو من وضعيّةِ متلفّظهِ))[١٥]. وقد جاءت الأفعالُ الكلاميّة ببعدها التعبيري كثيرةً في خطابِ المُبرِّد النقدي ؛ نذكر منها ما قاله بحقِّ حديث العباس بن الفرج الرّياشيُّ ((وقد روينا هذا الخبر من غير ناحيةِ الرّياشيّ أتمّ من هذا ، ولكن اقتصرنا على هذا لثقةِ إسناده))[١٦]. تتحركُ الأفعالُ الكلاميّة على مساحةِ النَّصِّ القصير هذا لتعلنَ أهليتها في توجيهِ المتلقي نحو فعلٍ محددٍ ظاهرٍ والتأثير فيه ؛ والفعل يتمثل بثقةِ إسناد حديث الرّياشيّ على حديث غيره . إلاّ أنَّ المخبوءَ وراءَ الدلالةِ الظاهرةِ أعمُ وأهمُ وأشمل ؛ كون الفعلُ اللَّفظي في المتواليةِ اللسانيّةِ يفقدُ خاصيَّةَ البُعدَ الدلاليَّ العميق ؛ وبذلك يأتي دورُ الفعل الانجازيّ لاعطاءِ شحنةِ التكثيفِ الدلاليِّ صبغة تواصليّة مفادها إبراز القصديّة من جرَّاءِ تواترِ الأفعالِ الكلاميّة .

فالغرضُ القصدي بحسب استدلالاتِ الفعلِ الانجازيّ هو التأثير في المتلقي وتوجيهه نحو تمحيصِ النُّصوص قبل الحكمِ عليها . ولا قيمة للنصوصِ المتكاملةِ من حيث المعارفِ ما لم تكن الأسانيدُ صحيحة . وعليه فليس التوجيهُ المباشرُ نحو قيمة سند الرّياشيّ وثقته ضمن هذا النص هو المطلوب ؛ بل المطلوب تنبيه المتلقي للأخذ بالأسانيدِ وتمحيصها بحسبِ الأفعالِ الانجازيّة غير المباشرةِ التي هي ((استراتيجيّةٌ لغويّةٌ تلميحيّةٌ يُعبّر بها

المتكلِّمُ عن القصدِ بما يُغاير معنى الخطابِ الحرفيِّ ، ليُنجز بها أكثر مما يقوله ، إذ يتجاوز قصده مُجرّد المعنى الحرفيّ للخطاب فيعبّر عنه بغير ما يقف عنده اللّفظ ؛ مستثمرًا في ذلك عناصر السياقِ))[١٧]. وهذا يعني في النهايةِ اشتغال المحرّك التأثيري الذي ميزتهُ إقناع المتلقي وتحريكه نحو هذا العمل وعدم التهاون به . وبذلك تكونُ المتواليةُ الكلاميّةُ قد حققت أبعادَ الأفعال الثلاثة (اللَّفظي ، الانجازي ، التأثيري) معًا لدفعِ الخطابِ نحو مبتغاه .

وفي مثالٍ آخرٍ نرصدُ قيمةَ الأفعالَ الكلاميّة بتوجيه المتلقّي نحو شيءٍ معينٍ والتأثير فيه عبر الافصاحِ عن مكنونِ النَّفسِ وما تشعرُ به وتريدهُ إذ قال:((وقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (كلّ الصيدِ في جوف الفرأ) يعني الحمار الوحشيّ ؛ وذلك أنّ أجلّ شيء يصيده الصائد الحمار الوحشيّ ؛ فإذا ظفر به فكأنّه قد ظفر بجملة الصيد))[١٨]. هذا النصُ يُشبه النصَ السابق من حيث حركيةِ الأفعالِ الكلاميّةِ لتحقيق معاني مباشرة وغير مباشرة . فعلى صعيد الدلالةِ المباشرةِ ـ المتشكِّلةِ من توالي الأفعال اللَّفظية ـ لرسمِ ما مطلوب منها نجد أنَّ توجيه الرسولِ (صلى الله عليه وسلم) واضحُ للمتلقي من حيث قيمة الظفرِ بصيدٍ جيِّد ؛ ولاسيما إذا ما كان هذا الصيد حمارًا وحشيًا . ولكن ما يعنينا ضمنَ هذا الخطاب هو الظفر بالغرضِ القصديّ المُنتج عبر الفعلِ الانجازيّ . وما نتجَ عن حركيّةِ الفعل الانجازيّ هنا هو قصديّة تعلّم الصيد الناجح والتدرب عليه . وعليه فإنّ الدلالةَ المباشرةَ المتشكِّلة عبر توالي الأفعال اللَّفظية تدلُّ على العناية بصيدِ حمارِ الوحش ؛ في حين أنَّ دلالةَ الفعلّ الانجازيَّ تؤدي فعلاً جديدًا إجتماعيًا هو تعلّم الصيد . وحتما أنَّ تعلّم الصيد والاستمرار على ممارستهِ سيكسبُ الصيادُ مهارةَ الفراسةِ في الصيد والمكان وفي كلِ شيء ، عندها سيدركُ أنَّ أفضلَ الصيدِ هو الحمار الوحشيّ . أي لا يأخذ ذلك مباشرةً عبر دلالةِ الفعل اللَّفظيّ ؛ بل يأخذه عبر القصديّة البعيدة غير المباشرةِ . وبحسبِ هذه القصديّة يحدثُ التأثيرُ في المتلقي مما يعني تحرّك الفعلُ التأثيري نحو رسم أبعادهِ وهو تنبيه الشخص بقيمةِ الصيدِ للعيشِ والتسليةِ معًا .

ومن ملامح التأثير في المتلقي عبر القصديّةِ المتحقِّقةِ في الفعل الانجازي؛ ومحاولة نقل هواجس المُبرِّد ومشاعرهِ لقبولِ هذه الفكرةِ أو المعنى أو المضمون – وهي كثيرةُ في خطابهِ – نذكرُ قوله في إعجابه بالبيت الثاني من قول عمر بن أبي ربيعة : ((قوله :

قلتُ : وجدي بها كوجدِك بالماءِ

معنى صحيح ، وقد اعتوره الشعراء ، وكلّهم أجاد فيه .

وقوله :

إذا ما مُنعتَ بردَ الشّرابِ

يريد : عند الحاجة ، وبذلك صحّ المعنى))[١٩].

تتراءى للمتلقي في الأفعالِ الكلاميّةِ بصفتها الأدائية قيمةَ التأثير الكبير عبر الاعلان عن مضامين التوجّه النفسي بنفسٍ تأكيديٍّ واضح . فقبول نفس صاحب الخطاب لمعنى البيت في شطرهِ الأوَّلِ ورفدهِ بتأكيدِ صحَّتهِ ؛ بل إصدارِ الحكم بالإجادةِ على كل من تناول هذا الشطر من الشعراء دليلُ قاطعُ على حركيةِ الفعل الانجازي لتأديةِ دوره المتمثلِ في إقناعِ المتلقي بقيمةِ هذا المعنى . أي إنتقال المعنى من النّفسِ إلى النّفسِ ؛ من صاحبِ الخطابِ إلى المتلقي لتتلاقح الأفكار وتتساوى المفاهيم . ولتعميق قيمة التأثير وافراز كل ما لدى الفعل الانجازيّ من قصديّةٍ مبيتةٍ للتأثير ؛ جاء التعليقُ على الشطر الثاني من البيت بالتأكيد الصارخِ لا عبر المؤكِّدات بل عبر القصديّةِ ؛ وهذا واضحُ بقوله (وبذلك صحّ المعنى) . فهو بحسب الآلية الاسلوبيةِ جعل المتلقي يشعرُ بالغرضِ القصدي ، لأنه أرشدهُ لقيمة هذا المعنى لجماليته . وعليه أكَّدَ له صحة المعنى لكي لا ينزاحَ عن توجه النّفس الباثة للاقناعِ واحداث التأثير في النهاية .

وباتجاهِ الأفعالِ الكلاميّة بصيغتها الالتزامية (التعهدات) إذ نجد أنّ المُبرِّد قد استعان بها لإثباتِ حسن نواياه واخلاصهِ في تقديم النُّصوصِ وشرحها وتفسيرها والتعليقِ عليها ؛ ويتمثّل الغرضُ الانجازيّ بتبني صاحب الخطاب وغيره موقفًا ثابتًا في المستقبل ؛ ولكنه لا يهدف من ورائه إحداث تأثير في المتلقي ؛ مع الاحتفاظِ بالقصديّة وتوجيه المتلقي نحو الغايات . وقد وردت أمثلةُ كثيرةُ في هذا الصدد نذكر منها قوله : ((وأجود التفسير عندنا في قول الله جلّ وعزّ : ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ [يونس : ٧١] ، أنْ تكون الواو في معنى (مع) ، لأنّك تقول : (أجمعتُ رأيي وأمري) و(جمعتُ القوم) فهذا هو الوجه ، وقوم ينصبونه على دخوله بالشّركة))[٢٠].

نلحظُ أنَّ القصديّةَ في هذا النص قد فاقت مدياتِ التأثير ؛ لانَّ الفعلَ الانجازيَّ عبر سلسلةِ الأفعالِ الكلاميّةِ قد حقق مضمونًا واحدًا وهو الالتزام بالرأي المتعلِّق بهذه القضية . فليس البُعدُ التحليليُّ هو الأهم في المعادلةِ النصيَّةِ ؛ بل الأهم هو البُعدُ التداوليُّ ضمنَ مساحةِ السياقِ التواصلي ؛ وبذلك تكون للفعلِ الانجازيّ قوةُ حيازةِ الدلالةِ وتوجيهها لانّه

يعمل تحت سيادةِ توجيه القصديّةِ بصيغةٍ غير مباشرة . وبذلك يكون النَّصُ قد تضمّن بُعدين : الأول تحليليّ قوامهُ التركيز على أهميةِ مجيء الواو بمعنى (مع) ضمن التراكيب المتواجد فيها لزيادةِ الدلالةِ وتكثيفها ، وتنبيه المتلقي لاهمية مثل هكذا تحويرات في التراكيب لأداءِ مقاصد معينة . أما الآخر فهو البُعدُ التداوليّ الذي تضمّن الافصاحَ عن وجودِ التزامٍ مباشرٍ من صاحبِ النَّص بقيمة هذا الرأي والتمسك به ومحاولةِ لفتِ انتباه المتلقي له . وبذلك حقَّق الالتزامُ قصديتهُ غير المباشرةِ عبر استمالةِ المتلقي إلى هذا الرأي لدعمهِ وتعضيدهِ .

ومن التزامياتهِ نذكر ((والأجود : أنْ يكونَ الخبرُ في المعنى عن المضاف اليه ، فأقحم المضاف توكيدًا ، لانّه غير خارجٍ من المعنى ، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ : ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[الشعراء: ٤]، إنّما المعنى : فظلّوا لها خاضعين، والخضوع بيّن في الأعناق ؛ فأخبر عنهم، فأقحم الأعناق توكيداً ، وكان أبو زيد الأنصاريُّ يقول : أعناقهم : جماعاتهم، تقول: أتاني عُنُقٌ من الناس، والأوَّل قول عامّة النحويين))[٢١]. يتبيّن لنا في هذا النص أنَّ الأفعالَ الكلاميّةَ قد حققت بُعدها التداوليّ عبر القصديّةِ غير المباشرةِ المتمثلةِ بالالتزام بالرأي المعروضِ المتعلِّقِ بالمعنى عبر المضاف إليه، فالدلالةُ الأوليّةُ العامة التي تحرَّكت في مسرحِ العرضِ المباشرِ للتراكيب ومدى توجيهها وقدرتها الايصاليّة المحددةِ؛ جاءت بالمرتبةِ الثانيّةِ من الأهمية، بسبب أنَّ البُعدَ التداوليَّ تحرّك فازاح التوجه العام وبنى لنفسهِ توجهًا خاصًا تجذرتْ فيه معالمَ القصديّةِ؛ وشكل هيكليةَ التعهدَ الالتزامي بتبني هذا الرأي وتطبيقهِ وتنبيه المتلقي لقيمتهِ وفحواه من دونِ الاصرارِ على إثارتهِ ومحاولةِ التأثير فيه.

وبحسب الأهمَّيةِ التي حقَّقها الفعلُ الانجازيُّ الى جانبِ الفعلِ اللَّفظيِّ والفعلِ التأثيريِّ في سياقِ خطابِ التعبيريات والالتزاميات ؛ من حيث زيادة حركية القصديّةِ وتمكينها البُعدَ التداوليّ من رسمِ مفاهيمه على وفقِ القناعةِ والتوجيه ؛ إتضحت ثلاثةُ معالمَ رئيسة في هذا الخطاب :

١ – إنّ سياقَ البُعدَ التداوليَّ كان الأهمَّ في المعادلةِ ؛ بل متعاليًا على الأبعادِ الدلاليّةِ الأخرى البانيةِ للخطابِ في كلٍ من الأفعالِ الكلاميّةِ الخاصَّةِ

بالتعبيريات والالتزاميات .

٢ – نجحتْ القصديَّةُ في إحداثِ الأثرِ في سياقِ الخاطبِ والمتلقي معًا ؛ ولكن مع اختلافِ التوظيف ؛ فالقصديَّةُ موجَّهةٌ وضروريَّةٌ في الفعلِ الانجازيِّ الخاصِ بالتعبيريات ؛ في حين أنّها موجَّهةٌ ولكنها ليست ضروريةً في الالتزاميات .

٣ – سيطرةُ الفعل الانجازيّ على سياقِ الخطابِ ورفدهِ للفعلِ اللَّفظيِّ والفعلِ التأثيريِّ معًا في التعبيريات ؛ في حين أنَّه جاء متماشيًا مع الفعلِ اللَّفظيِّ ومعضدًا له مع تجاوز الاهتمامِ بالفعلِ التأثيريِّ في الالتزاميات .

وفي ضوءِ ما تقدَّم يُمكن القول : إنّ الأفعالَ الكلاميَّةَ (خِطابُ التأثير) عملت على زيادةِ لُحمةِ الخطابِ النقديِّ عند المُبرِّد ؛ بسبب المقاصد الأوليَّة التي حملتها الملفوظاتُ الصوتية وبتواترها الجملي ؛ وتعضيدها بالمقاصدِ الثانيةِ – وهي المهمة – عبر قدرةِ الفعلِ الانجازيِّ على تخطي حاجز الثابتِ والميل نحو التحوّل والانفتاح الدلالي . وعلى وفقِ هذه الأهمية فإنَّ خِطابَ المُبرِّد من زاويةِ نظريةِ الأفعالِ الكلاميَّةِ متاز عمومًا بالآتي :

١ – إمتازَ خطابهُ بانَّه استند الى الاخباريات (التقريريات) بكثرة ؛ بقصدِ إيصال المفاهيم إلى المتلقي ؛ ومحاولةِ تشكيلها من جديد لفرزنةِ الصادقِ من الكاذبِ منها .

٢ – جاءتْ التعبيرياتُ والالتزامياتُ بالدرجةِ الثانيَّةِ في خطابهِ ؛ وتلخَّصت مهمّتها بالافصاحِ عن مكنونِ النَّفسِ الداخليةِ للمُبرِّدِ وقدرتهِ على تشكيلِ المفاهيم الجديدة برؤى مغايرة عن الخطاباتِ الأخرى؛ بغية تحقيق الفرادةِ والتميُّز؛ وإمتاعِ المتلقي وإفادتهِ بالمعارف.

٣ – حاول خطابهُ استمالةَ المتلقي وجعله على درايةٍ معرفيَّةٍ بالسِّمةِ الثقافيَّةِ والفكريَّةِ والدينيَّةِ في تلك الحقبةِ ؛ والسعي لاصطياد ما يُناسبهُ من الأفكارِ والفلسفاتِ والتياراتِ وهلمَّ جرًا . فضلاً عن الاستزادةِ المعلوماتيَّة .

المحور الثاني

نَظريةُ الاستلزام الحواري (خِطابُ القَصديَّة)

تُعدُّ هذه النظريَّة من النظرياتِ المهمَّة في التداولية؛ لكونها تعتني بمفاهيم الكلامِ ومحاولة إيلاء قصديّة المتكلِّمِ عنايةً خاصةً للوصول الى جوٍ من الاندماجِ بين المتكلِّمِ والمخَاطَب . وهذا يعني أنَّها تُحدثُ التواصل المعرفيّ بين الأشخاص عن طريق العناية بطرقِ المحادثة وما فيها من مدخلاتٍ ومخرجاتٍ لغويّةٍ ودلاليّة ؛ فالنظريةُ((قائمةٌ في الأساس على فكرة المحادثة وإدارة الحوارِ واستقامته ، والتي تتبيّن في استعمال التراكيب

الصحيحة . منطلقة من كيفية الأداء الحواري والتدرج فيه وصولاً إلى انتهائهِ وسلامتهِ اللُّغويةِ وتوفيقه بين أطراف العمليةِ التخاطبية))[٢٢].

تعودُ فكرةُ النظرية إلى الفيلسوف اللّغوي (بول غرايس) الذي ينتمي إلى مدرسةِ أُكسفود عندما حاول التفريق بين المعنى اللُّغويّ الحرفيّ للملفوظ ، وبين المعنى المُنتج المقصود في ضوءِ السياق ؛ فالأخيرُ هو مدار العناية والبحثِ ؛ كون القصديّة المبثوثة من المتكلِّمِ في السياقِ النصي هي التي تجعل المخاطَب – الطرف الثاني ضِمنَ نطاق المحادثة – على خطٍ واحدٍ من المفهوميّة ؛ لأنَّه يَعي أو يكون قريبًا من الوعي بقصديّة المتكلِّم ؛ عندها تكون المحادثةُ قابلةً لاحداثِ التواصلِ المعرفيّ . وعلى غرارِ هذا المفهوم وجد غرايسُ أنَّ الاستلزامَ نوعان : الأول استلزام عُرفي متعارفُ عليه من طرفي المحادثة ؛ أي أنَّ المتخاطبين يكونان على درايةٍ تامةٍ بمعاني الجُملِ في السياق ؛ لأنَّها لا تتبدل مهما جاءت في السياقاتِ المختلفة . أمَّا الثاني فهو استلزام حواري وفيه تتغير معاني الجُمل بتغيّر المقاماتِ والسياقات . وهذا يعني حصول الاختلاف الكبير بين ما يُقال وما يُقصد؛ فالاستلزام العُرفي هو ضمن ما يُقال؛ والاستلزام الحواريّ هو ضمن ما يُقصد[٢٣] . وعلى وفق حصول الاختلاف والافتراق بين الاستلزامين ؛ أي بين ما يُقال وما يُقصد حاول غرايسُ تقريب المسافةِ بينهما وجعل المتخاطبين على وتيرةٍ واحدةٍ من المفهوميَّة ؛ لذلك وضعَ أربعةَ شروطٍ مهمةٍ يجب احترامها من الطرفين وقد أسماها بـ (مبدأُ التعاون) ويشمل :

١ – مبدأُ الكم : يكون الحوارُ في هذا المبدأ على القدر المطلوب من الاخبار؛ وكذلك يكون مُبتعدًا عن الزيادةِ والنقصان .

٢ – مبدأُ الكيف: الابتعاد عن كلِّ ما يُعتقد أنَّه غيرُ صحيحٍ وليس فيه دليل. أي أنَّه يتصل بالصّدق .

٣ – مبدأُ المناسبة (العلاقة) : مناسبةُ الكلام لمقتضى الحال. أي أجعل كلامك مناسبًا للموضوع .

٤ – مبدأُ الطريقة : هو أنْ يتجنَّب المتكلِّمُ الغموضَ والإبهامَ ؛ ويميل نحو الوضوحِ والايجاز والترتيب[٢٤].

وعلى الرَّغمِ من الضابطِ الحواري الكبير في (مبدأ التعاون) لضبطِ عملية الفهمِ بين المتحاورين أثناء المحادثة ؛ فإنَّه ضابطُ قاصرُ في محتواه ؛ لوجودِ أنواعٍ متعددةٍ من الحوارات تخالفُ تلك المبادئ والشروط بأكملها ، لانَّ التوافقَ متى ما حصل بين المتخاطبين

وعلمَ المخاطَب مقاصد المتكلِّم فانَّ ذلك يعني أنَّهما يعملان ضمنَ الاستلزام العُرفي ؛ وهذا ما ينفيه ويعمل على دحضهِ الاستلزامُ الحواري الذي يُؤمن بقصديّة المتكلِّم غير المباشرة وايهام المخاطَب بها . وهذا يعني أنَّ الاستلزامَ الحواري يبني أُسسه على قواعدِ الخرق لتلك المبادئ الأربعة لتحقيقِ غاياته في الحوار . أي أنَّ ((المتكلِّمَ غالبًا ما يتقصَّد خرقَ إحدى هذه المبادئ ؛ مُتبعاً الإيهامَ واللبسَ في الكلام بغية إدراك حدود المعنى والغاية التي يتوخاها من الخطابِ بصيغةٍ أسلوبيةٍ غير مباشرة ، وذلك بأنْ يكون تعبيره استنتاجيًا ملوّحًا غير مصرّح ، ليلتمس المخاطَب وراء صياغته الكلامية جهدًا مضافًا في سبيل تحليلها وتفكيكها بالوصول الى مناحي الدلالةِ المطلوبة))[٢٥].

وفي ضوءِ ما تقدَّم فإنَّ الخطابَ النقدي عند المبرِّد استعمل الاستلزامين العُرفي والحواري معًا لاعطاء الاسلوب فرصة الايضاح تارةً ؛والغموض والايهام تارةً أُخرى . وبتأرجحِ الاسلوب بين الاستلزامين تأتي الدلالاتُ مُتلونةً حاملةً مقاصدَ منشئ الخِطاب بنوعيها المباشرة وغير المباشرة . وقد تمثّلَ الاستلزامُ في خطابِ المبرِّد النقدي بشقين هما :

١ – رفد النص المحاور بنصوصٍ أُخرى متعددة ؛ أي تدعيمها عبر المجاراة والتعضيد . وقد تنوعت بين النصوص الأدبية واللّغوية والدينية وهلمّ جرًا من المعارف المتنوعة .

٢ – ما يخصُ خطابه الخاص ، أي تحليله وتفسيره لقضيةٍ أو نصٍ ما بالاستناد إلى امكاناته وخزينه المعرفي والثقافي .

وعلى هامش وجود الشقين معًا في خطاب المبرّد النقدي سنعرضُ مجموعةً من الأمثلة لإيضاح الاستلزامين ، ولاسيما أنّ ما يهمنا هنا هو الاستلزام الحواريّ المبني على خرقِ أحد أركان مبدأ التعاون الذي وضعهُ غرايس ، فعلى صعيد الاستلزام العُرفي الذي تتوافر فيه المبادئ الأربعة نذكر : ((وقوله :

أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة

تقريرُ وليس باستفهام ، ولكن معناهُ : أني قد بلوتُك تُظهر الإخاء فإذا بدت الحاجة لم أرَ من إخائك شيئًا : قال الله عزّ وجل :﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[المائدة ١١٦] ، إنَّما هو توبيخ وليس استفهام ، وهو عزّ وجلّ العالم بأنّ عيسى لم يقله))[٢٦] .

يحملُ النصُ بين طياتهِ أبعادًا مفاهيميةً معروفةً توافق عليها الجميع بالعُرف ؛ أي تلاقح أفكارِ المتحاورين بشأن انزياح الاستفهامِ عن معناه الحقيقي وهو السؤالُ والميلُ نحو التقريرِ

والانكار ((وبحسب التفاعل الاندماجي بين المتخاطبيْن تحصل عمليةُ التواصل ، وهذا يتم من خلال التركيز على قصديَّةِ المتكلِّم في بث ما يُريده وقدرة المخاطَب في معرفة نوايا المتكلِّم أي قصديته ، ومتى ما حدثَ خرقٌ في هذه العملية تتوقف عملية التواصل))[٢٧].

وإذا ما طابقنا مَبادىء التعاون على السياقِ التواصلي نجدها قد تحققت كلّها هنا . فمبدأ الكمِ كان حاضرًا عندما علَّل انتقال الاستفهام من حالةٍ إلى حالة ولم يتشعب في ذلك ؛ مبتعدًا بذلك عن الغموضِ والايهامِ واللبسِ الذي يدفع باتجاهِ حضور مبدأ الطريقة للعرض ؛ كما أنّ اقتصاره على مفهومٍ واحدٍ مُرفدٍ بمثالٍ قرآنيٍّ واحدٍ جعل مبدأ المناسبةِ عاملاً مهمًا في اختزال المحادثة وتضييق أبعادها لتفعيل الدلالة وتكثيفها . وبذلك يكون مبدأ الكيف حاضراً كذلك للابتعاد عن الآراءِ غير الصحيحةِ أو المشكّك بها وما نحو ذلك . وعلى وفقِ الاندماجِ المفهومي عند المتحاوريْن جاءت قصديةُ القوةِ الانجازيةِ الحرفيةِ مباشرةً ومحددةً عبر صيغة الاستفهام ، لانّ الفعلَ المباشرَ الحرفيَّ هو ((القوة الدلاليةِ المؤشرِ لها بأدوات تصبغُ الجملة بصبغةٍ أسلوبيةٍ ما : كالاستفهام ، والأمر ، والنهي ، والتوكيد ، والنداء ، والاثبات ، والنفي))[٢٨]؛ كما أنه الفعل الذي يتلفَّظ به المتكلِّم في خطابه((وهو يعني حرفياً ما يقول ، وفي هذه الحالة فإنّ المرسلَ يقصدُ أنْ ينتج أثرًا إنجازيًا على المرسل اليه ؛ ويقصدُ أن ينتج هذا الأثر من خلال جعلهِ المرسل إليه يُدرك قصده في الانجاز))[٢٩]، وبذلك تحقَّق الاستلزامُ العُرفي .

وفي موضعٍ آخرٍ فيه الاستلزام العُرفي قال : ((وقولهُ :

ألمْ ترني صاحبتُ صفراء نبعةً

فالنّبع خير الشجر للقسيّ ، ويقال : إنَّ النّبع والشّوحط والشريان شجرةُ واحدة ، ولكنها تختلف أسماؤها وتكرم بمنابتها ، فما كان في قُلّة الجبل منها فهو النّبع ، وما كان في سفحه فهو الشّوحط ، وما كان في الحضيض فهو الشّريان))[٣٠] .

نلحظُ هنا أنَّ المُحتوى القضوي قد تشكَّل عبر المتواليةِ الألسنيةِ في مستواها الجُملي ؛ إذ إنَّ معاني المفردات جاءت بتتابعٍ إسناديٍّ أفضى في النهاية إلى البُعدِ التداوليّ المبثوث عبر القصديّة ، فضلاً عن تعضيدِ المُحتوى القضوي بالقوةِ الانجازيّةِ الحرفيّةِ عبر سياق الاستفهام الذي دار حوله التفسير . وعليه فإنَّ السياقَ التواصليَّ الواقع بين طرفي الحوار تضمّنَ رؤى مشتركة للمعاني ، لانَّ عمليةَ إيضاح المعاني تعني رصدَ المفاهيمَ ورفدها بقوةٍ إنجازيّةٍ يشترك على فهمها الاثنان معاً . وبذلك تحقَّق العُرف التواصليّ للمفاهيم عبر شرحِ مفردة

النبع ؛ لايضاح قيمة البيت وأهميته . وهذا يعني أنَّ مبادىء التعاون الأربعةِ متحقِّقة في هذا النص من حيثُ الاقتصارِ والتشذّبِ والمناسبةِ والابتعادِ عن الغموضِ واللبس .

وفي إطار احتواء خطاب المبرِّد النقديّ على الاستلزام الحواري فانّنا سندخلُ إلى بوابةِ الانفتاح الدلالي عبر تضمّن السياقِ التواصليّ معاني محورية ، نتيجة تبدّل المقاماتِ واختراق المتغيّراتِ للثوابت . وسنعرضُ مثالين : الأول ينتمي الى التداخلِ النصي والإفاضة بالتعليقِ والأمثلةِ والتفسير ، والآخر ينتمي الى خطابهِ الداخلي الخاص .

ومثالُ ما يتعلقُ بالتداخلِ النصي والميل للاطالة قولهُ :((ويروى عن الأصمعي أنه قال : هجم عليَّ شهرُ رمضان وأنا بمكة ، فخرجتُ إلى الطائفِ لأصوم بها هربًا من حرّ مكة ، فلقيني أعرابي فقلتُ له : اين تُريد ؟ قال : أُريد هذا البلد المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه ، فقلتُ : أما تخاف الحرَّ ؟ فقال : من الحرِّ أفر . وهذا الكلام نظير كلام الربيع بن خُثيم ،فإنّ رجلاً قال له – وقد صلّى ليلة حتى أصبح: أتعبْت نفسك، فقال: راحتها أطلب، إنّ أفره العبيد أكيسهم .ونظير هذا الكلام قول روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب – ونظر اليه رجل واقفاً بباب المنصور في الشمس – فقال : قد طال وقوفك في الشمس ! فقال روحٌ : ليطول وقوفي في الظلّ .))[٣١].

فكرةُ النصِ هي (مشقّةُ لراحة) لهذا جاء التعبيرُ عن ذلك بستةِ نصوصٍ ؛ ثلاثةُ منها نثرية وهي التي اكتفينا بها وثلاثةُ شعريَّة . وهذا يعني أنَّ صيغةَ الحوار قد تمدَّدت وأصبحَ السياقُ التواصليّ مخترقاً ؛ لانزياح المعاني الحرفية في التتابع الجُملي عن ثوابتها واحلال المعاني المحوريّةِ مكانها . ويُمكن بيان عدد من الأوجهِ الايضاحيَّةِ في هذا المثال :

١ – بحسب مبدأ التعاون حصلَ خرقُ واحدُ وهو انعدام مبدأ الكم في هذا المثال، لانَّ الإطالة التوضيَّحة جاءت عنوانًا واضحًا لرفد الفكرة . إلاّ أنَّ هذا الاختراق يدلُّ على الامكانات المعرفيّة والقدرات التوظيفيَّة للمتكلِّم وهو هنا صاحبُ الخطاب .

٢ – توزعتْ المعاني المحوريَّة التي تولَّدت طِبقاً للمقام على النصوصِ الستة؛ معلنة في الوقت نفسه توفيقها بين أطرافِ العمليةِ التخاطبيَّة ؛ وتدرّجها بتتابعٍ غير منقطع .

٣ – تمثلتْ بؤرةُ البُعد التداوليّ في السياقِ التواصليّ الحواري عبر قوةِ الفعل الانجازي بتنبيه المُتلقي الى أهميَّةِ الصبرِ وتذوق حلاوته .

٤ – حاولَ الخطابُ عبرَ الاستلزام الحواري إقناع المُتلقي بالحُمولةِ الدلالية ؛ لأنّه في أساسهِ يندرجُ ضِمنَ الفعلَ الانجازيّ التواصليّ غير المباشر . لذلك كانت القصديَّةُ مناورة وذات أبعادٍ رؤيويَّة متشعبة لتشعُّب مفاهيم الصبرِ وتحمُّل المشقَّةِ لأجل غايةِ الراحة .

وفي الإجمال فإنَّ خرقَ مبدأ الكمِ خلقَ سياقًا معرفيًا تواصليًا فيه قصديَّة غير مباشرة ؛ فليس التركيز في هذه النصوص على قيمةِ المشقَّةِ لتحقيق الراحة ؛ بل تضمّنَ التركيزَ ـ عبر البُعد التداوليّ ـ تنبيه المتلقي على الصبرِ والتجلُّد في المواقفِ لتحقيق الغايات .وعلى الرغم من ذلك تأرجح المخاطَب لاستقبال الخطاب وتفكيكه وإزالة غموضهِ بحسب مبدأ الطريقة . واتضحتْ معالمُ الخطابِ بما تضمَّنه من معالمٍ تخاطبيَّةٍ وآلياتٍ مقصديَّةٍ متعارف عليها بحسب مبدأ الكيف .

وأخيرًا ازدادَ الإرتباطُ التواصليّ بين المتخاطبين بحسب مبدأ العلاقة . وبتضافر المبادىء الثلاثةِ اتضحتْ مَعالمُ ، واختفت أُخرى نتيجةَ خرق مبدأ الكم .

وباتجاه ما يخصُ خِطاب المبرِّد في بنيتهِ الداخلية نذكرُ قولهُ : ((وقال أعرابيٌّ – أنشدنيه أبو العالية :

ألا تسأل المكّيَّ ذا العلم : ما الذي يحلّ من التقبيل في رمضانِ

فقال لـي المكّيّ : أمّا لـزوجـةٍ فسبع وأمّـا خُلّـةٍ فـثـمـانِ

قوله (خُلّة) يريد ذات خُلّة، ويكون سمّاها بالمصدر، كما قالت الخنساءُ :فإنَّما هي إقبالُ وإدبارُ

ويجوز أنْ تكون نعتتها بالمصدر لكثرتهِ منها ، ويجوز أنْ يكون أرادت : ذات إقبالٍ وإدبار ؛ فحذفت المضافَ وأقامت المضاف إليه مقامه ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة : ١٧٧]، فجائزُ أنْ يكون برّ من آمن بالله ، وجائزُ أنْ يكون : لكنّ ذا البرّ من آمن بالله ، والمعنى يؤول الى شيءٍ واحد .وفي هذا الشعر عيبٌ وهو الذي يسمِّيه النحويون العطف على عاملين، وذلك أنه عطف خُلّة على (اللام) الخافضةِ لـ(زوجة)، وعطف ثمانيا على سبع ، ويلزم من قال هذا أنْ يقول : مرّ عبدُ الله بزيدٍ وعمرو خالد ففيه هذا القبح))[٣٢] .

إنّ القصديَّةَ المبثوثةَ في هذه النصِ الطويلِ المتضمِّن لنصوصٍ عدّة موجَّهةُ من المُتكلِّم إلى المتلقي على نحوٍ واضح ؛ وتمثلَ ذلك بتعدُّد الانتقالاتِ الايضاحيَّة المُمثلةِ بتعدد

الأمثلة. وهذا يعني الانتقال من المعنى الحرفي(القضوي) إلى المعنى المحوري الذي هو((تعدّدي وتأملي ، فالدلالةُ الملتمسة منه تتعدد ويعضدُ بعضها بعضا ؛ بسبب ارتباط استخراجها بظروف وملابساتِ العمليَّةِ التخاطبيَّة))[٣٣] ، فالتعضيدُ الدلالي الوارد هنا حصلَ بسبب خرقِ مبدأ الكم ؛ وبذلك تسرّبت المتواليات الجُملية معلنةً أهليَّة السياقِ التواصلي المؤثر . إذ حدث الانتقالُ من الحديثِ عن المصدرِ الى العطفِ ثم الادغام ؛ مدعومًا بالأمثلةِ الشعريَّة والنصوصِ القرآنية ؛ وهو ما يُمثل التداخل الاجناسي المزيِّد للمعاني الدلاليَّة . وهذا يعني أنَّ الملفوظَ الصوتيَّ بحسب قاعدتهِ الجُمليَّة لم يتطابق مع السياق ؛ وبذلك فعلَ الخرقُ فعلته لزيادة تعدد المعاني . وبذلك تكونُ الدلالةُ واقعةً بين كمّاشتي ما يُقال وما يُقصد ، فالمعنى الحرفي (ما يُقال) ليس هو المطلوب في سياقِ التداوليَّة ، وانما المعنى المحوري (ما يُقصد) هو المطلوب ؛ شرط عدم إهمالِ الأول وتهميشه بالكامل ، لانَّ الثاني يستند اليه في أحايين كثيرة . وعليه فإنّ معاني النصَ الصريحةَ استبانت بشرحِ الأمثلةِ وتفسيرها ورفدِها بالنصوصِ المشابهة ؛ ولكنَّ القصديَّةَ الحتميَّةَ من كل ذلك بوساطةِ خرقِ آلية التعاون في شق (مبدأ الكم) هي تسليطُ الضوءِ على النظام النحوي الذي يرتب الدلالات وينمِّيها ، ولا سيما إذا ما علمنا أنَّ السياقَ التواصليَّ الذي فُرض على هذه النصوص تولَّد من الظرف الاجتماعي الخاص في تلك الحُقبة ؛ من حيث العناية بالتحليلِ والعرضِ اللُّغوي وتعزيز المُبتغى بالنصوصِ والأفكارِ لزيادةِ المعارف .

وفي إطارِ ما عُرض من الأمثلةِ التي بيَّنت امكانات نظرية الاستلزام الحواري (خِطابُ القصديَّة) في تعزيز خِطاب المبرِّد النقدي ؛ يُمكن بيان مجموعة من النقاط المهمَّة في المجمل العام وهي :

١ – تمثلَ عملُ كتاب (الكامل في اللّغة والأدب) باختيار النصوص المتنوِّعة؛ ثم محاورتها وتفسيرها وتحليلها ومجاراتها وتعضيدها؛ وهذا ما يُمثل حقيقةَ عمل نظرية الاستلزام الحواري.

٢ – مثلت الروايةُ مدخلاً للخطابِ النقدي عند المبرِّد ؛ إذ جاءت الرواياتُ بصيغتين شفهيَّة ومكتوبة ؛ وبتداخلهما من حيث الأفكار والمعلومات يُنتج خطابُ القصديَّة .

٣ – روايتهُ للنصوص ذات بعدٍ منهجيٍّ من خلال تدقيقه للمرويَّات ؛ مثل إشارته إلى تعددِ النصوصِ والروايات على هذا الموقف أو تلك القضية ؛ وفاضل ووازن بينها وأعطى ـ في أغلبها ـ حكمه عليها في النهاية .

٤ – العلاقةُ بين النصوصِ بحسب الاستلزامِ الحواري كانت على أساسين : الأول كان على أساسِ المجاورة من حيث أنَّ كلَّ نصٍ يحتفظُ بخصوصيته واستقلاليته . والثاني على أساس التداخلِ والاندماجِ لتشكيل نصٍ واحدٍ له مفاهيمهُ الجديدة .

٥ – تبيَّن من خلال قراءتهِ للنصوصِ أنَّ خطابه سلك اتجاهين متغايرين : الأول قراءة النصوصِ في ضوءِ عرضها ورفدها بالنصوص الأُخرى للكشفِ عن سماتِها الجمالية ؛ وهذا ما يُمكن أنْ نصطلحَ عليه بالقراءةِ المتعادلةِ أو الموازية . الثاني قراءة النصوصِ بتمعُّنٍ وتزويدها بالإيضاحات والاستنتاجاتِ الخاصة ؛ لذا لم يكتفِ بالتأويل الأُحادي للنص في أغلب الأحيان ؛ بل انتقل الى التأويل المتعدّد . أي أنَّه يُعطي إيضاحات أُخرى ومعلومات كثيرة لما يُريد الافصاح عنه .

٦ – إنَّ تداخلَ الخطاباتِ مسألةُ مهمة ؛ ولاسيما إذا ما علمنا أنَّ الخطابَ النقدي عادة ما يضمُ بين طياته خطابات متعددة فكريَّة وسياسيَّة واجتماعيَّة وادبيَّة وما نحو ذلك . وعليه فإنَّ معالجةَ النصوصِ بتحليل فردي أو رفدها بنصوصٍ أُخرى وتحليلها بغية إيضاحها للمُتلقي تمثل في حقيقة الأمرِ المقاصد الواقعيَّة لخِطاب المبرِّد ؛ فهو يختار بحسب القصديَّة التي يبغيها للنصوصِ الفعَّالة لإنتاج اللُحمة المقاميَّة وزيادة سيرورة التواصل .

٧ – وفي الاجمال أدّى الاستلزامُ بنوعيه (العُرفي والحواري) دورًا بارزًا في رفدِ المقاصدِ الدلاليَّةِ في النص ؛ وتشكيل بؤرة الخِطاب النقدي عند المبرِّد .

الخَاتِمةُ

عادة ما تندرجُ مفاهيمُ الأعمالِ في سياقاتٍ خاصَّةٍ للإيضاحِ والتَّواصلِ وتكون مطوَّلة ؛ في حين أنَّها تأتي مُقتضبةً ومُغنيةً في سياقاتِ الخُلاصةِ . وعليه تبلورتْ مجموعةُ من المفاهيم والنتائجِ المتعلِّقةِ بخطابِ المُبرِّد النقدي في ضوءِ البُعدِ التداولي . منها أنَّ خطابَ المُبرِّد انتمى إلى المنظومةِ الفكريَّةِ التي كانتْ سائدةً في تلك الحُقبة ؛ من حيث اعتماد مبدأ الاختياراتِ المتنوّعةِ المُمثلةِ بالأدبيَّةِ والدينيَّةِ واللُّغويَّةِ والفكريَّةِ وغيرها . وتمثلتْ علاقةُ النُّصوصِ المتداخِلةِ بالمجاراةِ تارةً والتعضيدِ تارةً أُخرى ؛ وكذلك بالمجاورةِ تارةً وبالاندماجِ لتشكيلِ نصٍ واحدٍ تارةً أُخرى . وفي إطارِ تطبيقِ البُعد التداولي بحسب نظريَّةِ الأفعال الكلاميَّةِ (خِطابُ التأثير) ونظريَّةِ الاستلزامِ الحواري (خِطابُ القصديَّة) اتضحتْ مجموعةُ من النتائج . منها أنَّ التداوليَّةَ اهتمت بالمثلَّثِ الابداعي المكوَّن من (المُرسل ، المُرسل إليه ، الرسالة) ؛ وأنَّ مهمَّتها انحصرتْ بدراسةِ الاستعمالِ اللُّغوي في ظلِ سياقاتِ المقاماتِ

للوصولِ الى مضامين اجتماعيَّةٍ وثقافيَّةٍ وفكريَّةٍ وغيرها . وبالانتقالِ نحوَ تطبيق نظريَّة الأفعال الكلاميَّة نجد أنَّ خطابَ المُبرِّد النقدي استند إلى الاخباريات على نحوٍ لافتٍ للنظر ؛ تليها من حيث الأهميَّةِ والاستخدام التعبيريَّاتُ والالتزاميَّاتُ (التعهدات) ؛ في حين كانت حصةُ التوجيهاتِ ضئيلةً ، وانعدام الاعلانياتِ تماماً . وقد توزعتْ عمليةُ الانتاجِ على قسمين : الأوَّل تمثَّلَ بالمرويَّاتِ أي الاتكاءِ على النُّصوصِ وقراءتِها وتعضِيدها بنصوصٍ أُخرى بُغيةَ إيصالِ المعلومةِ إلى المتلقي والتأثير فيه . الثاني ما كان مُتعلقًا بخطابهِ الخاص من حيث التعليقاتِ والتأويلاتِ وانفتاح مدى المعلومةِ لديه وتوزيعها على الميدانِ اللُّغوي والأدبي والديني والفكري والمعرفي وهكذا دواليك . وفي كلِّ الأمثلةِ المنتميةِ على القسمين حاولَ المُبرِّدُ التركيزَ على الأبعادِ التداوليَّةِ العميقةِ التي تتبلور عبر المقاصدِ غير المباشرةِ ؛ تاركًا بذلك المقاصدَ المباشرةِ التي تُنتَج عبرَ الأفعالِ الكلاميَّةِ الحرفيَّة .وعلى صعيدِ استعمال الاستلزام الحواري نجد أنَّ خطابه حوى بين جنباته الاستلزامين معًا وهما : الاستلزام العُرفي الذي تكون مفاهيمهُ واضحةً قد تعارف عليها المتخاطبان ، والاستلزام الحواري الذي تُنتج مفاهيمهُ عبر سياقاتٍ تواصليَّةٍ خاصة فيها خرقُ لاحد مبادىء التعاونِ الأربعة التي وضعها غرايس ، وهي (مبدأُ الكم ، ومبدأُ الكيف ، ومبدأُ المناسبة ، ومبدأُ الطريقة) . وقد توزعت عمليَّةُ الانتاج كذلك على قسمين هما المرويات أولاً ؛ ومديات خطابه الخاص ثانيًا .

وفي الختامِ يُمكنُ القول : إنّ خطابَ المبرِّد النقدي خطابُ منوَّعٌ ومشوِّقٌ حمل بين طيَّاته حمولاتٍ دلاليَّةً كثيرةً تجعلهُ بحق أحد الخطابات المُميّزةِ على صعيدِ المنظُومةِ الفكريَّةِ العربيَّةِ قديمًا وحديثًا .

Abstract

Pragmatic Perspective of Critical Speech in Al- Moubarrid's " Al-Kamil in Linguistics and Literature" as a Model

Ass. Prof. Sami Shihab Ahmed (PhD(

Abbased Literature

University of Kirkuk

College of Education for Human Sciences

Ass. Prof. Mariam Mohammed Jasim (PhD(

Old Criticism

University of Tikrit

College of Education for Human Sciences

Key Words: Pragmatic, perspective, Criticism

Pragmatics is considered to be one of the bases that identify the changes in the context, through a number of different techniques and concepts, in order to indicate the connotative meaning behind the intended meaning. This is because pragmatics is concerned with the relation of the signs with their interpreters. Based on this importance, this study tries to indicate a pragmatic perspective of critical speech in Al- Moubarrid book " Al- Kamil in Linguistics and Literature". This is to be achieved by the theory of speech acts, that cares about the accomplishment verbs affecting the addressee, also the theory of conversational commitment that deals with the role of the speaker in identifying the addressee poem through his use of lexical items and meanings

الهوامش :

(١) التداولية اليوم علم جديد في التواصل – آن روبول وجاك موشلار – ترجمة – د.سيف الدين دغفوس ، د.محمد الشيباني – مراجعة د. لطيف زيتوني – دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت – ط١/٢٠٠٣ : ٢٦٤ .

(٢) التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي – د. مسعود الصحراوي – دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت – ط١/٢٠٠٥ : ١٦ – ١٧ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٦ .

(٤) التداولية في البحث اللغوي والنقدي – تحرير د. بشرى البستاني – مؤسسة السياب – لندن – ط ١ / ٢٠١٢ : ٨٠ – ٨١ .

(٥) ينظر : تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية – عمر بلخير – منشورات الاختلاف – الجزائر – ط ١ /٢٠٠٣ : ١٥٧ .

(٦) التداولية من أوستن الى غوفمان – فيليب بلانشيه – ترجمة صابر الحباشة – دار الحوار للنشر والتوزيع – سوريا – ط ١ / ٢٠٠٧ : ٥٤ .

(٧) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر – د. محمود أحمد نحلة – دار المعارف الجامعية – ٢٠٠٦ : ٤٥ –٤٦ .

(٨) ينظر : تحليل الخطاب المسرحي : ١٥٨ .

(٩) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٤٧ – ٥١ . وينظر : التداولية من أوستن الى غوفمان : ٦٢ –٦٣ . وينظر : تحليل الخطاب المسرحي : ١٦٠ .

(١٠) تداولية الخطاب السردي – دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي – د . محمود طلحة – عالم الكتب الحديث – الأردن – ط ١ / ٢٠١٢ : ١٧ .

(١١) الكامل في اللغة والأدب – تأليف إمام العربية أبي العباس محمد بن يزيد المبرّد – أعدّه واعتنى به علي محمد زينو وعماد حيدر الطيار – مؤسسة الرسالة ناشرون – بيروت – ط ١ / ٢٠٠٦ : ٨٢ .

(١٢) المصدر نفسه : ١٠٠ .

(١٣) الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي – د. مسعود صحراوي – أطروحة دكتوراه – جامعة باتنة – ٢٠٠٣ : ٨٣ .

(١٤) الكامل في اللغة والأدب : ٤٢٣ .

(١٥) تداولية الخطاب السردي : ١٦ .

(١٦) الكامل في اللغة والأدب : ١٨٧ .

(١٧) إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية – عبد الهادي بن ظافر الشهري – دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت – ٢٠٠٤ : ٣٧ .

(١٨) الكامل في اللغة والأدب : ٢١٧ .

(١٩) المصدر نفسه : ٤٠٢ .

(٢٠) المصدر نفسه : ٤٢٤ .

(٢١) المصدر نفسه : ٣٤٤ .

(٢٢) التداولية في البحث اللغوي والنقدي : ٢٥٧ .

(٢٣) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٣ .

(٢٤) ينظر : المصدر نفسه : ٣٤ .

(٢٥) التداولية في البحث اللغوي والنقدي : ٢٥٩ .

(٢٦) الكامل في اللغة والأدب : ١٥٥ .

(٢٧) التداولية في البحث اللغوي والنقدي : ٨٦ .

(٢٨) التداولية عند العلماء العرب : ٣٥ .

(٢٩) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٣٥ .

(٣٠) الكامل في اللغة والأدب : ٢٣٢ .

(٣١) المصدر نفسه : ١٤٧ .

(٣٢) المصدر نفسه : ١٩٨ .

(٣٣) التداولية في البحث اللغوي والنقدي : ٢٦٧ . وينظر : الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي : ٨٤ .

المَصادرُ والمَراجعُ

- القرآن الكريم .
- آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر – د. محمود أحمد نحلة – دار المعارف الجامعية – ٢٠٠٦ .
- إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغويَّة تداوليَّة – عبد الهادي بن ظافر الشهري – دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت – ٢٠٠٤ .
- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظريَّة التداوليَّة – عمر بلخير – منشورات الاختلاف – الجزائر – ط ١ /٢٠٠٣ .
- تداولية الخطاب السردي – دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي – د . محمود طلحة – عالم الكتب الحديث – الأردن – ط ١ / ٢٠١٢ .
- التداوليَّة عند العلماء العرب– دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي– د. مسعود الصحراوي – دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت – ط١/٢٠٠٥.
- التداوليَّة في البحث اللغوي والنقدي– تحرير د. بشرى البستاني – مؤسسة السياب – لندن – ط ١ / ٢٠١٢ .
- التداوليَّة من أوستن إلى غوفمان – فيليب بلانشيه – ترجمة صابر الحباشة – دار الحوار للنشر والتوزيع – سوريا – ط ١ / ٢٠٠٧ .
- التداوليَّة اليوم علم جديد في التواصل – آن روبول وجاك موشلار – ترجمة – د.سيف الدين دغفوس ، د.محمد الشيباني – مراجعة د. لطيف زيتوني – دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت – ط١/٢٠٠٣.
- الكامل في اللغة والأدب – تأليف إمام العربية أبي العباس محمد بن يزيد المُبرِّد – أعدّه واعتنى به علي محمد زينو وعماد حيدر الطيار – مؤسسة الرسالة ناشرون – بيروت – ط ١ / ٢٠٠٦ .

الأطاريح

- الأفعال المتضمِّنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي – د. مسعود صحراوي – أطروحة دكتوراه – جامعة باتنة – ٢٠٠٣ .